ميريت دي ـ نور (*)

مراسلة بين الحاخام إسحق آيزيك هليفي هرتسوغ ودافيد بن غوريون في مسألة تجنيد طلاب المدارس الدينية في العقد الأول بعد قيام دولة إسرائيل

[تعريف: مسألة تجنيد شبان المدارس الدينية اليهودية (اليشيفوت) من الحريديم (اليهود الأرثوذكس) لتأدية الخدمة العسكرية في الجيش الإسرائيلي لا تزال تشكل محور خلاف عميق، بل محور صراع سياسي ـ ثقافي ـ اجتماعي، في المجتمع الإسرائيلي، غالبا ما تؤخذ عنوانا لـ«الحرب الثقافية» بين العلمانيين والمتدينين الصهيونيين، الذين يرفعون شعار «تقاسم العبء بالتساوي»، من جهة، وبين المتدينين الحريديم الذين يعتبرون المطالَبة بتجنيد شبانهم في الخدمة العسكرية مسمّى لـ«حرب على دراسة التوراة»، ليس إلا، من الجهة الأخرى.

وفي إطار هذا الصراع الثقافي ـ السياسي المتواصل، الذي تقوده أحزاب سياسية تمثل الفئتين المتصارعتين، مرّت مسألة تجنيد هؤلاء الشبان بمحطات عديدة، سياسية (قرارات حكومية مختلفة)، تشريعية (قوانين خاصة تم تشريعها لمعالجة هذه المسألة)، قضائية (قرارات حُكم أصدرتها المحكمة العليا الإسرائيلية تؤكد عدم دستورية إعفاء الحريديم من الخدمة العسكرية وبُطلان ما سُنّ من قوانين لتكريسه) وشعبية (مظاهرات حاشدة وعنيفة نظمها الحريديم ضد السعي إلى تجنيدهم).

ويُردّ الإعفاء الذي يتمتع به شبان الحريديم من الخدمة العسكرية، والذي تحاول بعض الأحزاب العلمانية وأوساطها الشعبية إلغاءه كليا اليوم، في العادة إلى «اتفاق تاريخي» توصلت إليه جماعات وأحزاب الحريديم مع رئيس الحكومة الأول في إسرائيل، دافيد بن غوريون، في المراحل الأولى من قيام الدولة، قضى بإعفاء الحريديم من الخدمة العسكرية تحت شعار «توراتهم حرفتهم». وهذا «الاتفاق

(*) باحثة في «جامعة بن غوريون» في بئر السبع.

التاريخي» هو مضمون الرسالة التي وجهها بن غوريون يوم ٩ كانون الثاني ١٩٥١ إلى كل من مدير عام وزارة الدفاع ورئيس أركان الجيش بالنص التالي: «بموجب البند ١٢ من قانون الخدمة الأمنية، أعفيتُ طلاب المدارس الدينية من الخدمة النظامية. هذا الإعفاء يسري على طلاب المدارس الدينية المنكبّين، فعليا، على دراسة التوراة في المدارس وطالما ظلوا كذلك»!

غير أن الرسالتين اللتين ننشر هنا ترجمة حرفية لنصّيهما، وهما رسالة الحاخام الرئيسي لإسرائيل، إسحق هليفي هرتسوغ، إلى رئيس الحكومة، بن غوريون، ثم رسالة الأخير الجوابية، وكلتاهما من العام ١٩٥٨، تضيئان على جذور هذا الخلاف الممتدة عميقا وعلى مدى حدته، علاوة على ما تؤكدانه من حقيقة أنه خلاف سابق لقيام دولة إسرائيل.

وتؤكد رسالة بن غوريون الجوابية أنه منح هذا الإعفاء (التام) «حينما كان عدد طلاب المدارس الدينية ضئيلا» و«لفترة مؤقتة» أخذ يحاول، من بعدها، إلغاءه وفرض الخدمة العسكرية على هؤلاء الطلاب، ولو جزئيا ـ وهي المحاولات المستمرة حتى يومنا هذا ـ غير أن الواقع السياسي في إسرائيل يجعل الحكومة والمؤسسة الرسمية عاجزة عن تحقيق هذا التغيير في «الوضع القائم»، منذ قيام الدولة، وإنجاز التغيير المنشود. فالقوة التي تتمتع بها أحزاب الحريديم في الخارطة السياسية ـ الحزبية في إسرائيل، بما يجعلها شريكة «طبيعية وأساسية» في أي ائتلاف حكومي، بل «بيضة القبان» في أي تشكيلة ائتلافية جديدة (باستثناء حالات قليلة جداً أقيمت فيها حكومات بدون الأحزاب الحريدية، منذ قيام الدولة)، تؤهلها لـ«ابتزاز» هذا العجز ومنع إحداث أي تغيير في «الوضع القائم»، رغم ما أصدرته المحكمة العليا من قرارات قضائية تؤكد عدم دستوريته وتأمر بإلغائه / تغييره– المترجم]

خلفية

شكلت مسألة تجنيد طلاب المدارس الدينية الحريدية للجيش الإسرائيلي إحدى القضايا المحورية الملتهبة التي احتلت جدول الأعمال العام في إسرائيل خلال العام ٢٠١٢. ورغم أن جذور هذه المسألة تمتد عميقاً في تاريخ دولة إسرائيل، إلا أنها ما زالت تشغل حيزا أساسيا في النقاش العام، وخاصة في سياق التوتر المستمر ما بين الدين والدولة، منذ أيامها الأولى.[١]

عمليا، بدأ الانشغال بهذا الموضوع حتى قبل إعلان الدولة، إبان «حرب الاستقلال». فقد توجه آنذاك الحاخام إسحق مئير ليفين، الذي أصبح وزيرا للرفاه الاجتماعي وزعيم «أغودات يسرائيل» لاحقا، إلى دافيد بن غوريون وطالبه بإعفاء ٤٠٠ طالب في المدارس الدينية من واجب التجند للجيش، كي يستطيعوا تخصيص كل وقتهم لتعلّم التوراة، من باب أن «توراتهم حرفتهم» («تعلّم التوراة هو شاغلهم»).[٢] وكان قرار بن غوريون الاستجابة لهذا الطلب.[٣]

تقول دفنه براك ـ إيرز: نجم الاستعداد لقبول هذه التسوية، كما يبدو، عن الاستعداد للمحافظة على عالم المدارس الدينية في أعقاب دمار التجمعات اليهودية في أوروبا إبان الهولوكوست. فقد اعتُبرت في ذاك الوقت بمثابة مرساة إنقاذ لعالم آخذ في الزوال يحمل قيمة ثقافية وتاريخية بالنسبة إلى المجتمع اليهودي.[٤]

كان الشبان بمثابة الجمرة المتبقية من النار وقد حصلوا على الإعفاء المأمول على أساس شخصي، دون إجراء تشريعي منظم ودون قرار حكومي.[٥]

أتاح قرار بن غوريون للعديد من الشبان التهرب من تأدية الخدمة العسكرية بذريعة أنهم يخصصون وقتهم كله للتوراة، بالرغم من أن كثيرين منهم خرجوا، في الواقع، إلى العمل والكسب بينما تجنّد غالبية أبناء جيلهم في صفوف الجيش.[٦]

تكشف لنا الرسالتان أدناه،[٧] من شهر تشرين الثاني ١٩٥٨، مراسلة مثيرة بين الحاخام الرئيسي آنذاك، إسحق آيزيك هليفي هرتسوغ، ورئيس الحكومة، دافيد بن غوريون. وهي رسائل تم تبادلها على خلفية اقتراح تقدم به موظفو وزارة الدفاع إلى رؤساء المدارس الدينية يقضي بتجنيد طلابها لبضعة أشهر من التأهيل العسكري الأولي، الأساسي، يعودون بعدها إلى دراسة التوراة، كل في مدرسته الدينية الخاصة.[٨] وهذا ما نشر في صحيفة «هآرتس» قبل أيام قليلة من بدء التراسل:

> تجنيد طلاب المدارس الدينية لفترة زمنية قصيرة، بالتدرّج حسب الأجيال، سيُعرَض ـ كما يبدو ـ على طلاب المدارس خلال لقائهم اليوم مع المدير العام لوزارة الدفاع، السيد ش. (شمعون) بيريس، في مكتب رئيس الحكومة في القدس. وسيكون على رأس الوفد الحاخام ز. بروتسكين، الذي يشغل منصب الرئيس الإسرائيلي لمجلس كبار التوراة، المؤسسة الروحية الأعلى لـ«أغودات يسرائيل».
>
> وأشارت مصادر عليمة إلى أن المشاورات التي أجراها السيد بن غوريون مع رؤساء وزارة الدفاع في هذا الشأن

تمخضت عن بلورة بعض المقترحات.

وطبقا لهذه المقترحات، سيحظى ٥٠٠ فقط من طلاب المدارس الدينية بإعفاء تام من واجب التجند لتأدية الخدمة العسكرية، هم الذين أعِدّوا لإشغال مهام روحانية، علماً بأن نحو ٣,٠٠٠ طالب في المدارس الدينية يحظون اليوم بالإعفاء الكلي والتام.

أما فيما يخص بقية الطلاب، فستقترح وزارة الدفاع تجنيدهم في الخدمة النظامية لمدة تسعة أشهر، بحيث يتم تقسيمها على النحو التالي: من سن ١٧,٥ عاماً حتى سن ٢٤ عاماً، سيتم استدعاؤهم ثلاث مرات لثلاثة أشهر كل سنة. أما الذين لم يخدموا في الجيش ويبلغون من العمر اليوم ٢٥ ـ ٢٩ عاماً فسيتم استدعاؤهم مرتين، لستة أشهر في السنة الأولى وثلاثة أشهر في السنة الثانية. وأما الذين بلغوا سن الـ ٢٩ عاماً، فسيُلزَمون بالمثول لتأدية الخدمة الاحتياطية فقط.

وكما يبدو، سيعرب رؤساء المدارس الدينية عن معارضتهم التامة لهذه الخطة. وستكون حجتهم أن الزيادة في عدد طلاب المدارس الدينية لم تُعادل حتى نسبة التكاثر الطبيعي بين السكان الحريديم، وليست ثمة إمكانية، مطلقا، لتوفير العدد المطلوب من الحاخامين ومدرّسي الشريعة لخدمة المهاجرين الجدد.[٩]

ويقدّر كاتب الخبر في «هآرتس» أن أغودات يسرائيل ورؤساء المدارس الدينية سيرفضون اقتراح بن غوريون. وتثبت الرسالتان أدناه أنه قد أصاب، حقا، في تقديره ذاك. وكي نفهم كيفية تطور النقاش في هذا الموضوع خلال سنوات وجود دولة إسرائيل، يجدر التوقف عند طبيعة وطابع الحجج والادعاءات التي أوردها كل من الطرفين. نتطرق، أولا، إلى الرسالة الأولى، من الحاخام هرتسوغ إلى بن غوريون. فحينما يأتي هرتسوغ للتعبير عن الصدمة من جراء محاولة تغيير التسوية القائمة والغضب عليها، يعود إلى طرح الحجة ذاتها التي شكلت أساس التسوية، منذ البداية، ومفادها أن الهولوكوست قد أدت إلى تدمير مراكز التعليم التوراتي في أوروبا وأن الطلاب اليوم هم بمثابة بقايا الناجين النازحين. وتعبر هذه الحجة، من جهة أولى، عن نهوض المجتمع الإسرائيلي وتعافيه من الهولوكوست، بينما يجدر التأكيد، من جهة ثانية، على أن عقدا من الزمن قد انقضى منذ إنشاء دولة إسرائيل وأن عدد الطلاب في المدارس الدينية قد ازداد أضعافا كثيرة عما كان عليه في البداية. ويظهر من كلام الحاخام هرتسوغ، أيضا، أن ثمة بين دارسي التوراة أقلية من المهاجرين من الدول الشرقية، الذين ينبغي المحافظة على تعليم التوراة بين جماعاتهم أيضا. ويكرر الحاخام هرتسوغ الادعاء الذي يُطرح اليوم أيضا، وهو أن دارسي التوراة يدافعون عن الدولة في البُعد الروحاني، مثلما يدافع جنود الجيش عنها بأجسادهم.

رسالة من الحاخام هرتسوغ إلى بن غوريون[١٠]

٥ تشرين الثاني ١٩٥٨

إلى المحترم العزيز والمبجّل السيد دافيد بن غوريون (يحفظه الله ويرعاه)
رئيس حكومة إسرائيل ووزير الدفاع
المدينة المقدسة (القدس، لتُبنَ وتُصلَح)

سيدي رئيس الحكومة!

صُعقتُ عميقاً وتحطم قلبي في صدري حيال الشائعة بأن ثمة نيّة لإدخال تغييرات في وضعية طلاب المدارس الدينية ومكانتهم الحالية، والذين ألغي تجنيدهم طالما هم في رحاب بيت الرب ويخصصون وقتهم للتوراة، وقد وجدت لزاما عليّ أن أتوجه إلى حضرتك بالتالي:

شرف تاريخي كبير يطاول السماوات العلى تسنى لحضرتك لاستعادة مجد شعب إسرائيل في الحرية والخلاص وتأسيس مملكته المستقلة في وطنه. وقد تجسد في شخص حضرتك القول «وكان داود مفلحاً في جميع طرقه» {سفر صموئيل الأول، ١٨ ، ١٤}. وإني لعلى ثقة بأن حضرتك قد رأى، أكثر من أي شخص آخر، معجزات الخالق البائنة التي تداخلت في الميدان السياسي وفي ميادين الحرب، والتي بفضلها بلغنا ما نحن عليه. لقد حظينا، بفضل الرب، بهذه الأعجوبة الأسمى التي نسمع من خلالها، أيضا، أجراس خلاصنا، تحقيقا لوعد أنبيائنا، تقاليدنا وتراثنا. لكننا لم نحظ بأن يكون ملايين من إخوتنا وأخواتنا من أوروبا جزءا من فرحتنا هذه. فقد أبيد هؤلاء بحُمَة الحيّة، رُفعت الهالة ودُمّروا بعنف ووحشية في شتات أوروبا، لكنهم منحونا الحياةَ بموتهم، حياة الشعب، لبناء النفوس وإعادة بناء الأنقاض، بالمادة وبالروح.

كان يدرك ذلك الشرير (عليه اللعنة) جيدا، مثلما أدرك كثيرون سبقوه، أن روح هذه الأمة هي الكامنة في الكتب المقدسة وفي التوراة، المكتوبة والمفَسَّرة، فعمد إلى التنكيل بمخطوطات الكتب قبل المسّ

بأجساد الناس. وكانت مصيبتنا، ويا لحزننا، أنه استطاع إشباع شهوته هذه. ومع انتهاء الحرب، اتضح أننا ضربتنا كانت مضاعفة: في الجسد وفي الروح. وبدمار جاليات إسرائيل، اندثرت واختفت جميع مراكز التوراة الفخمة والمتألقة في ذاك الشتات. وتدمرت أوروبا، مهد المدارس الدينية، أيضا، بكل ما يتصل بالتوراة، علمائها ودارسيها. لكن نِعَم الربّ لا تحصى ورحمته لا تنفد: بلادنا، التي أعدت لتجميع المنبوذين من شعب إسرائيل والناجين من المذبحة في أوروبا استوعبت، أيضا، وبأعداد كبيرة، بقايا طلاب المدارس الدينية ورؤسائها. هؤلاء، كل من بلد وليس بينهم اثنان من عائلة واحدة ـ جاءوا وأقاموا هنا، من جديد، مظلة المدارس الدينية التي تهدمت في أوروبا. ونتيجة لذلك، حظيت بلادنا المقدسة، وحظينا نحن، بعودة التوراة إلى منزلها الأصلي، إلى مكانها الطبيعي. ومن هذه الناحية، أصبحت مركز التوراة، الذي لا مثيل له في العالم كله، وهو ما لم نحظ به في مناطق أخرى كثيرة. وإنني على ثقة بأن هذا الأمر قد كان ماثلا أمام عينيّ حضرتك قبل نحو عشر سنوات حينما منحتَ طلاب المدارس الدينية مكانتهم المميزة بشأن التجنيد. وقد أكدت هذه المحبة، لنا جميعا، مدى تقديرك وإدراكك لأهمية بقايا التوراة في صهيون ومدى أهميتها في منظومة حياتنا الجديدة في دولتنا الجديدة ـ القديمة.

والآن، بحلول العقد الأول من عمر الدولة يتوافد العائدون من الشتات، من مهاجر مختلفة، إلى وطنهم. مئات الآلاف من الأشقاء منهم قد عادوا وقدموا إلينا، ومن دول المشرق أيضا، مخلصين لروح إسرائيل، محافظين على التقاليد وعلى تراث الآباء، لكنهم حملوا معهم، أيضا، الأخبار المحبطة بأن دمار التوراة، الذي تفشى في أوروبا، لم يقفز عن تلك البلدان أيضا، وإنْ لأسباب مغايرة. وها قد تم، بفضل الرب، استيعاب عدد قليل، نسبيا، من أبناء هؤلاء القادمين في المدارس الدينية، شكلوا نواتها الأساسية التي ستعيد مجد التوراة إلى يهود الشرق الذين أضاء عظماؤهم البلاد، بالتوراة، طوال مئات السنين. ولئن كان القلق الكبير والقوي يساورنا، على الدوام، على وجود المدارس الدينية ومصيرها في إسرائيل، كما حددها الأوائل، فكم بالحري الآن، في هذه الفترة العصيبة؟

الخلفية من وراء هذا الموضوع هي، عمليا، أعمق وأوسع بكثير: ثمة واجب ملقى على الشعب المقيم في أرض صهيون، تحت سماء السيادة والاستقلال، بأن يمنح أبناء المدارس الدينية، الذين أوكلوا بحفظ كنوز الأمة الروحانية (وهم يؤدون ذلك بإخلاص وتفانٍ وتضحية لا تُقاس، في وضع اقتصادي لا يُحتمل ولا يوصف بكلمات)، إعفاء من أي واجب تجند في الجيش طالما هم يجلسون في خيمة التوراة. ذلك أنهم مجنَّدون، هم أيضا، ويذودون عن أمن توراة شعب إسرائيل وتراثه، اللذين يكمن فيهما مجده وبفضلهما وصلنا إلى هنا. هؤلاء هم الذين يحرسون ممتلكات الأمّة الاساسية ـ توراة إسرائيل وأرض إسرائيل.

إنني على يقين بأن لدينا، جميعا، إيمانا كاملا ومطلقا لا يتزعزع بأن صوت التوراة، المنبعث والمتعالي من مراكز التوراة، هو الحاجز أمام أيدي عيسو وإسماعيل اللذين يحيكون ضدنا مؤامرات الشر والقتل، وبأن الاقتراب من الله، المخيِّم فوق هذه المؤسسات المقدسة، يعزز قوة الحُماة الأعزاء وهم هم شفاعتنا للسلامة والانتصار.

وعليه، فإنني أتوجه إلى سعادتك بقلب راجف، لكن واثق، بأنك، وقد تساميتَ إلى ذرى إسرائيلية عامة بمنحك طلاب المدارس الدينية مكانتهم المميزة بشأن التجنيد، ستواصل إبداء المحبة والتقدير لأبناء التوراة ولن يطرأ أي تغيير في مكانتهم هذه، ولو قيد شعرة.

قلبي مفعم بالأمل في أن حضرتك ستتفهم روحي المكتئبة التي دفعتني، مذعورا، إلى توجيه رسالتي الطويلة هذه، في ساعة ضعف ووهن، ولتكن مشيئة الرب هاديك لتلبية طلبي هذا. وليحفظ الباري حضرتك ويحميه من كل شرّ وحزن وليمدّ بعمرك مئة وعشرين سنة من الحياة الرغيدة المنذورة، كلها، لإعلاء دولتنا وتكليلها بالقداسة.

مع تحيات التوراة والوطن

وبالتقدير العميق،

إسحق آيزيك هليفي هرتسوغ

******

ثمة أمور مثيرة ولافتة في رسالة بن غوريون الجوابية، أيضا. صحيح أن كلماته مكتوبة بلهجة حازمة، لكنها ليست عدائية ومتحدّية. وهو يحاذر كثيرا ألا يهاجم المعسكر الديني والحريدي، ولذا فهو يشدد على أن أقواله تمثل اقتراحاً، لا أمراً. ومع ذلك، فهو لا يتذلل أمام الحاخام هرتسوغ، بل يُظهر ضلوعه الواضح في الشريعة وفي مصادرها، عموما، ويثبت أنه ليس مجرد «سلة فارغة» وأن باستطاعته عرض حججه باللغة المعتمدة لدى المعسكر الديني. ويعبر بن غوريون، عمليا، عن أسف وندم على التسوية الأصلية من العام ١٩٤٨ ، لأنه تيقن من أن عدد الشبان الراغبين في الانضمام إلى الاتفاق الأصلي قد ازداد بصورة كبيرة خلال السنوات ويقول إنه ليس من الأخلاقي إعفاؤهم من الخدمة العسكرية بينما يخاطر أبناء جيلهم بأرواحهم في الدفاع عن الوطن وحمايته. وهو

يرفض، بوضوح وحزم، ادعاء الحاخام هرتسوغ بشأن التضحية الروحانية التي تعادل تضحيات الشاب المحارب وينفي الادعاء بأن الشعب قد حظي بالحياة إبان إنشاء الدولة بفضل دارسي التوراة.

رسالة جوابية من بن غوريون إلى الحاخام هرتسوغ

رئيس الحكومة

القدس، ١٠ تشرين الثاني ١٩٥٨

إلى حضرة

الحاخام الرئيسي لإسرائيل

السيد إسحق هليفي هرتسوغ

القدس

سلاما وتحية،

للأسف الشديد، لم أستطع التفرغ لكتابة رد فوري على رسالتك من يوم ٥ تشرين الثاني ١٩٥٨ .

أحزنني، كثيرا، أن أسمع أنك لست في تمام الصحة، وأود بداية أن أتمنى لك الشفاء التام والسريع.

وبالنسبة إلى طلاب المدارس الدينية، فإن الأمر، كما يبدو لي، ليس سهلا على الإطلاق. حينما قررت، قبل ١٠ سنوات، إعفاء طلاب المدارس الدينية من الخدمة العسكرية كان عددهم ضئيلا وكانت دولتنا، كما قيل لي آنذاك، الدولة الوحيدة التي بقي فيها طلاب يدرسون التوراة، وإن يكن من واجبي التنويه، بسرور، إلى أن طلاب المدارس الدينية شاركوا في الدفاع عن القدس، مثل بقية شبان القدس. لقد تغير الوضع منذ ذاك الوقت، إذ ازداد عدد هؤلاء الطلاب بصورة كبيرة. ولست أعرف ما إذا كان ثمة أساس للاتهام بأن هنالك من يتوجهون إلى المدارس الدينية بغية التهرب من الخدمة. وأودّ الافتراض بأن لا أساس لهذا الادعاء، لكن ليس ثمة شك في أن عدد طلاب المدارس الدينية قد ازداد كثيرا مع الوقت حتى بلغ بضعة آلاف. في الدول الأخرى، لا يحتاج الأغيار إلى حماة إسرائيل. أما هنا، فجميعنا يهود وأمننا منوط بنا وحدنا، فقط. والسؤال هنا، أولا وقبل أي شيء آخر، هو سؤال أخلاقي كبير عما إذا من اللائق أن يُقتل ابن أم بولندية دفاعا عن الوطن بينما يجلس ابن أم أخرى في غرفة يدرس بأمان، في الوقت الذي يخاطر شبان إسرائيل بأرواحهم.

لن أجرؤ على مواجهتك بفتوى واضحة من «الرمبام» (الحاخام موسى بن ميمون) مفادها أن على الجميع أن يخرجوا في الحرب المقدسة، وحتى العريس من حجرته والعروس من مخدعها، لأنك ـ بالمفهوم ضمنا ـ أكثر ضلوعاً وتبحّرا في الشريعة مني. ومع ذلك، يبدو لي أن «نظرية القوس» تشكل في دولة إسرائيل جزءا من التوراة ولا يجوز أن يكون آلاف الشبان غير قادرين على حمل السلاح حين يستدعي الأمر. ولا يجوز، أيضا، تجاهل احتمال أن تتعرض القدس، لا سمح الله، إلى العزل والهجوم من جانب العدو بينما مئات الشبان عاجزين عن الدفاع عن أنفسهم، عن أصدقائهم وأهاليهم وعن المدينة المقدسة. ولهذا، فقد اقترحتُ (لم آمُر، بل اقترحت) أن يشارك أبناء المدارس الدينية الذين ينذرون حيواتهم كلها لدراسة التوراة في تدريبات أساسية لمدة ثلاثة أشهر، بينما يؤدي الآخرون الخدمة في الجيش، كأي شاب في إسرائيل. وقد عرضت هذا الاقتراح على أعضاء الكنيست من «أغودات يسرائيل»، كما عرضه المدير العام لوزارة الأمن (شمعون بيريس) على رؤساء المدارس الدينية.

ينبغي ألا ننسى أننا لا نواصل هنا حياة الشتات ولسنا مرتهنين بصدقات الأغيار ومعروفهم فنواصل التصرف كشعب ينتظر منّة من الآخرين. إننا هنا وحدنا، بقوتنا وقدراتنا، وعبء الأمن ملقى علينا نحن، لا غير. شرف كبير فزنا به بعد مئات السنين. وهو ملزم، برأيي، لكل شاب في إسرائيل. لا أعثر في التوراة، ولا في كتابات الأنبياء والحكماء، على ما يدل على أن طلاب التوراة كانوا معفيين من الدفاع عن الوطن، وينبغي أن نتذكر أن الظروف في أيامنا قد تغيرت: لم نكن يوماً من قبل محاطين، من كل الجهات، بأعداء يسعون إلى إبادتنا ولم تعد وسائل القتال في أيامنا مثلما كانت في عهد الهيكل الأول أو الثاني. إنها، الآن، نظرية معقدة تتطلب تدريبات كثيرة. لا يمكنني، مطلقا، قبول قولك إننا «قد بلغنا ما بلغناه بفضل شبان المدارس الدينية». ليسوا هم الذين بنوا البلاد، ليسوا هم الذين خاطروا بأرواحهم وعرّضوا حيواتهم للموت من أجل استقلالها (رغم أن بعضهم قد فعل ذلك) وليست لهم أي حقوق أو أفضال مميزة عن يهود آخرين.

يقول الحكماء والفقهاء: الأكل من تعب اليدين أفضل من مخافة الله. وليس في الخدمة العسكرية ما ينتقص من تعلم التوراة. وفي إسرائيل المستقلة، لا تكتمل التوراة إن لم تشمل، أيضا، حماية الشعب والوطن. لا وجود للتوراة بدون وجود شعب إسرائيل والذود عن حياض الأمّة سابق لأي شيء آخر. وإن من يحترم دارسي

التوراة ويبتغي الخير لهم (وأنا أجرؤ على القول إنني كذلك) يتعين عليه أن يحرص على عدم انفصالهم وانعزالهم عن الشعب وعدم إعفاء أنفسهم من الواجب الأكثر قدسية ـ واجب الدفاع عن آبائهم وأمهاتهم، عن أقربائهم، عن بلداتهم وعن شعبهم.

وإنني أطلب منك ممارسة تأثيرك على رؤساء المدارس الدينية كي يطلبوا، هم بدورهم، على الأقل، إخضاع جميع طلابهم لتدريبات أساسية لفترة ثلاثة أشهر.

وأتمنى لك، مرة أخرى، تمام الصحة وكل الخير.

بفائق التقدير والصداقة

د. بن غوريون

كما هو معروف، رفض المعسكر الحريدي اقتراح بن غوريون هذا، وكذلك الاقتراحات الأخرى التي طُرحت خلال السنوات بشأن تعديل الوضعية القائمة، ولا تزال حكومات إسرائيل تواصل، منذ ذلك الحين وحتى اليوم، إجراء مفاوضات مع الأحزاب الحريدية سعياً إلى إيجاد مخرج وحل لمشكلة التزايد المستمر في عدد الشبان الحريديم الذين لا يتجندون في الجيش من جهة، ومن أجل دمجهم الفعال في المجتمع الإسرائيلي من جهة أخرى.

[مترجم عن العبرية. ترجمة سليم سلامة]

الهوامش

١ . تجدر الإشارة إلى أن الإعفاء الممنوح لطلاب المدارس الدينية الحريدية يمثل جزاء واحدا فقط من مسألة تهرب أوساط واسعة من الشبان الإسرائيليين من واجب التجند لتأدية الخدمة العسكرية في الجيش، بذرائع مختلفة. وقد أورد شاحر إيلان مقارنة ما بين إعفاء الطلاب الحريديم وعدم تجند المتهربين من الخدمة العسكرية: «ثمة غير قليلين من العلمانيين الذين يتهربون من تأدية الخدمة العسكرية، كما أن هنالك كثيرين جدا من «المهنيين» (جنود يؤدون الخدمة العسكرية في مجالات إدارية ـ مكتبية، خلافا للمهمات العسكرية الميدانية) الذين يقضون خدمتهم العسكرية في «الكرياه» (اسم المكان حيث مقر وزارة الأمن وهيئة الأركان العامة للجيش، في وسط مدينة تل أبيب). والسبب في أن الحريديم هم الذين يتعرضون للانتقاد، أساسا، يعود إلى أن الأمر بينهم ليس مقصورا على حالات هامشية واستثنائية، بل هو قرار عام لجمهور بأسره ألا يؤدي الخدمة في الجيش. وثمة تمويه وتضليل في مجرد الادعاء بأن طلاب المدارس الدينية الحريدية يتمتعون بإعفاء من الخدمة العسكرية. ذلك أن الحقيقة هي أن الإعفاء يشمل، عمليا، الجمهور الحريدي برمّته. وحقيقة أن هذا الإعفاء يُمنح فقط للذي «تعلّم التوراة هو شاغله» هي التي تضطر جميع الشبان الحريديم إلى الانتساب لمدارس دينية» (شاحر إيلان، **«حريديم م.ض.: الميزانيات، التهرب ودوس القانون»**، كيتر، القدس، ٢٠٠٠، ص ١٢٧). كما يمكن، أيضا، مراجعة: آشير كوهين، **من التسليم (القبول) إلى التصعيد: الشرخ الديني ـ العلماني على أبواب القرن الـ ١٢** – شوكن، القدس، ٢٠٠٣، ص ٢٥– ٤٠.

٢ . الحاخام يتسحاق مئير ليفين (١٨٨٥ – ١٩٧١)، من مؤسسي «أغودات يسرائيل» في بولندا وزعيمها، هو صهر الحاخام يتسحاق مئير روطنبرغ (ألتر)، مؤسس «حسيدية غور»، ومحرر «أرض إسرائيل» ـ صحيفة «أغودات يسرائيل» العالمية التي كانت تصدر في بولندا، ثم تولى بعد إغلاقها تحرير **«طريقنا»**. هاجر إلى البلد في العام ١٩٤٠ . أنظر في: يوسف بوند، **حركة في الخرائب: قيادة أغودات يسرائيل حيال الهولوكوست**، رؤوبين ماس، القدس ٢٠٠٨، ص ٥، حاشية رقم ١٣ .

٣ . في كل ما يتصل بشؤون الدين والدولة، فصل بن غوريون، فصلا تاما ومطلقا، بين مواقفه الشخصية، التي كانت مناوئة للدين بصورة حادة ومتطرفة، وبين الحيز العام، الجماهيري والقومي. فهو، شخصيا، كان يرفض رفضا تاماً أية ممارسات دينية، مهما كانت، وأحجم عن إقامة أية شعائر أو طقوس، ولو الأساسية منها مثل «وجبات الأعياد»، بناء عريشة أو تسجيل الزواج لدى الحاخامية. ومع ذلك، كان يدرك الحاجة إلى المحافظة على حيز عام يهودي يفضي إلى توافق قومي واسع، قدر الإمكان، فحاذَرَ من فرض مواقفه على الجمهور المتدين والمحافظ. أنظر: تسفي تسميرت، «رؤساء مباي وعلاقتهم بالدين والمتدينين»، في: بار أون وتسميرت (محرران)، **على جانبي الجسر: الدين والدولة في بدايات طريق إسرائيل**، ياد يتسحاق بن تسفي، القدس ٢٠٠٢، ص ١٧٥– ٢٤٥.

٤ . دفنه براك ـ إيرز، «تجنيد شبان المدارس الدينية: بين معضلة المواطنة ومعضلة قابلية التقاضي»، **أبحاث قضائية**، العدد ٢٢ (٢٠٠٦)، ص ١٥ . وتعتمد براك ـ إيرز في كلامها على زيرح فارهـَفطيغ، **«دستور لإسرائيل: دين ودولة»**، مسيلوت، القدس ١٩٨٨، ص ٢٣٢ . وانظر، أيضا: شاحر إيلان، **حريديم م.ض.**، ص ١٢٦ .

٥ . قراك ـ إيرز، ص ١٣– ١٤. البينات الموثقة التي بين أيدينا تدلّ على أن بن غوريون قد ندم، لاحقا، على هذا القرار. هكذا، مثلا، في الرسالة إلى أشكول من يوم ١٩٦٣/٩/١٢، بعد أن أخلف اشكول بن غوريون في رئاسة الحكومة:همجية المتعصبين تتجاوز كل الحدود وأشعر بأنني مسؤول عن ذلك، بدرجة معينة {...} أنا الذي أعفيت طلاب المدارس الدينية من الخدمة العسكرية. صحيح أنني فعلت ذلك حينما كان عددهم ضئيلا، لكنهم يزدادون ويتكاثرون (جامعة بن غوريون). وفي رسالة أخرى، من يوم ١٩٦٧/٢/١، إلى المواطن موشي شطيرمان: «فور إقامة دولة إسرائيل مباشرة، توجه إليّ زعماء «أغودات يسرائيل» وقالوا: في الخارج، تم هدم جميع مراكز (تعليم) التوراة، وفقط في البلاد هنالك بضعة شبان يرغبون في التعلم في مدارس دينية، وطلبوا إعفاءهم من الجيش. استجبتُ لطلبهم. وفي الأثناء، اتضح لي أن المدارس الدينية في الخارج كثيرة جدا ـ في فرنسا، سويسرا، الولايات المتحدة وغيرها، بينما هم يزدادون ويتكاثرون في البلاد وليس ثمة أساس أو مبرر لإعفائهم من الجيش» (جامعة بن غوريون).

٦ . هذا ما يتضح، مثلا، من رسالة عضو الكنيست يوسف بورغ (عضو «هبوعيل همزراحي») غلى الحاخام هرتسوغ، من يوم ١٩٥٠/٥/٩: «لقد نما إلى مسامعي أن شبانا كثيرين قد التحقوا بالمدارس الدينية خلال الأشهر الأخيرة ولم تكن التوراة شاغلهم، بل بمجرد بلوغهم سن التجنيد الإلزامي، تسجلوا طلابا في المدارس الدينية. هذه الظاهرة قد تنطوي (والعياذ بالله) على كفر ومروق، إذ سيزداد عدد مهاجمي المدارس الدينية والدارسين فيها حقا وصدقا، بجريرة أولئك المتهربين المتسترين بلباس طلاب المدارس الدينية»، **أرشيف الدولة**، مجلد ٧٢,١٠٢ ف– ٤٢٥١/٧.

٧. الوثيقتان مأخوذتان من المختارات الشخصية للحاخام يتسحاق آيزيك هليفي هرتسوغ (١٩٨٨– ١٩٥٩) والتي تم نقلها من «هيخال شلومو» إلى أرشيف الدولة بمساعدة حفيده، عضو الكنيست يتسحاق هرتسوغ. ونوجه شكرنا لأرشيف الدولة الذي أتاح لنا استخدام هاتين الوثيقتين.

٨ . الحاخام يتسحاق آيزيك هلفي هرتسوغ كان الحاخام الرئيسي الأشكنازي الأول في دولة إسرائيل. للمزيد عن سيرة حياته وقضايا شتى عالجها وترك بصمته عليها، أنظر: **شعلة ليتسحاق: كتاب ذكرى للحاخام يتسحاق آ. هليفي هرتسوغ** بمرور خمسين عاما على وفاته، يد الحاخام هرستوغ، القدس، ٢٠٠٨– ٢٠٠٩.

٩ . **هآرتس، ٨٥٩١/١١/٥، ص ٦.**

١٠ . **هذه المراسلات مأخوذة من: أرشيف الدولة، مجلد ٢٠١,٢٧، ف – ٧٤٢٤/١٢.**